مجلّة «المشرق»
وبعض القضايا الأخلاقيّة والنظريّة
أيّام الأب لويس شيخو (١٨٩٨ ـ ١٩٢٧)

جورج فايز سلّوم*

هذه المقالة مستلّة من رسالة أعددناها سنة ١٩٨٠ لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة تحت عنوان النواحي الفكريّة لمجلّة المشرق أيّام الأب لويس شيخو.

وقد التزمنا حينذاك بحصر موضوعنا في ربع قرن[١] اقترنت فيه مجلّة المشرق بحياة الأب شيخو[٢] لانطباع بنية المجلّة انطباعًا عميقًا بشخصيّة مؤسّسها ومديرها. فهو من أهمّ كتبتها وله ما يقارب ٢٥٠ مقالة كبيرة وما يربو على ألفَيْ نبذة ومقالة قصيرة[٣] ونستطيع أن ننسب إليه ثلاثة أخماس الخمسة وعشرين ألف صفحة من المشرق[٤].

(*) باحث لبناني. أستاذ مادّة الفلسفة.

(١) بين ١٨٩٨ ونهاية ١٩٢٧ ثلاثون عامًا، ولكن الأب شيخو أحبّ التأكيد على «الربع قرن» لأنّ المجلّة كانت قد احتجبت بسبب الحرب الكونيّة من ١٩١٥ إلى ١٩١٩. أطلب: عمل المشرق في ربع قرن، في المشرق، ٢٥ (١٩٢٧)، ص ٩٢٥.

(٢) فقد كتب آخر مقالاته وهو على سرير المستشفى بضعة أيّام قبل موته.

(٣) حشيمه، كميل، اليسوعيّون والآداب العربيّة في أواخر القرن الماضي ومطلع القرن العشرين، حلب ١٩٧٩، ص ٨.
وقد أحصاها الأب كميل حشيمه في: لويس شيخو، ما كتبه وما كُتِب عنه، بيروت، دار المشرق، ١٩٧٨.

(٤) Lammens, Henri. *Le Père Louis Cheikho.* Lyon (Imp. Bascou) 1929, p.10.

لم يقتصر نشاط المشرق الفكريّ على الاهتمام بنشر المخطوطات الفلسفيّة القديمة والتأريخ للفكر الشرقيّ والغربيّ وبشكل خاصّ تاريخ الفكر الشرقيّ المسيحيّ، والبحث في القضايا الماورائيّة كعلاقة العقل والوحي بعلم الإله، والمباحث الكلاسيكيّة في روحانيّة النفس وقواها وحلودها وقضايا الحياة والديول الماورائيّة للنظريّات البيولوجيّة كنظريّة النشوء والارتقاء ونظريّة التولّد الذاتيّ. . . ، بل تناول أيضًا بعض القضايا المناقبيّة والأخلاقيّة.

ينطلق الإنسان، في مناقبيّته الأخلاقيّة، من نظريّات مثاليّة يعتمدها كشرائع وغايات ويسعى إلى تحقيقها واقعيًّا بعمله. فيستنير أحيانًا باعتقادات يعتنقها، ومنها الاعتقاد الدينيّ، ويتفاعل سلبًا أو إيجابًا مع نداء داخليّ يحثّه على الخير وينهيه عن الشرّ وهو الضمير، فيسعى إلى غاياته بوسائل مختلفة قد لا تقترن حتمًا، رغم سموّ الغاية، بالأخلاق، ويسير في السعي لتحقيق مُثله في مزيد من القيم وتحقيق ذاته في مزيد من الوجود والحرّيّة.

لذلك، سنبحث أوّلاً في العلاقة بين الأخلاق والدين، وثانيًا في الضمير، وثالثًا في الغاية الأخلاقيّة، ورابعًا في الحرّيّة، وكلّها قضايا عالجها كتبة المشرق كما ذكرنا.

أوّلاً: الأخلاق والدين

مثّلت المسيحيّة دورًا أساسيًّا في تطوّر الفكر الفلسفيّ والأخلاقيّ بتأكيدها على التماثل (Identité) الأساسيّ بين مفاهيم الروح والمحبّة واللامتناهي[1]. وظهرت تعاليمها في الأخلاق في معطيات الإنجيل، وفي رسائل القدّيس بولس، ومؤلّفات القدّيس أوغسطين، والقدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم، والقدّيس توما الأكويني، وغيرهم.

(١) يقول لوسين (LE SENNE) في هذا المعنى:

«C'est... en reconnaissant l'identité foncière des termes d'esprit, d'amour et d'infini que le Christianisme a non seulement opéré la réhabilitation de celui-ci, mais en a popularisé l'apothéose». Le Senne, René: *Traité de Morale Générale*, Paris (P.U.F.) 1967, p.184.

وقد اعتمد كلية المشرق، في محاضراتهم الفلسفيّة، خطّة دوريّة تعتمد اعتمادًا مطلقًا معطيات الدين، حتى جعلهم يرسمون رباطًا وثيقًا بين الدين والأخلاق باعتبارهما «ركنيْ الهيئة الاجتماعيّة»[1].

وبحث الأب إسكندر ذي فياله[2] عن إمكانيّة قيام «فلسفة أدبيّة بلا دين».[3] فاعتبر أنّ الجمع بين الإلحاد والآداب «ضرب من المحال لأنّ الآداب لا تقوم بلا أصول عقليّة راهنة ثابتة رأسها الاعتقاد بوجود الله كما لا يقوم البناء بلا أساس متين»[4]. ورأى في البحث في أصل الواجب «المسألة الأساسيّة في الفلسفة الأدبيّة»[5]، فحاول أن يحلّل الأركان التي تعتمد عليها ضرورة تتميم الواجب ووجد مبادئ «الفلسفة الأدبيّة المستقلّة... عاجزة كلّ العجز عن الجواب»[6]. وأكّد على ضرورة الاعتقاد بوجود الله «للمحافظة على الآداب ومراعاة حقوق التمدُّن الصحيح»[7].

ثمّ ميّز بين الضرورة الطبيعيّة «التي نجدها في الأفعال الطبيعيّة والتي لا يتعلّق وقوعها بحرّيّة الفاعل»[8]، وبين الضرورة الأدبيّة «التي يتّصف بها الفعل البشريّ... الصادر عن قوّة الإنسان الاختياريّة»[9]. واستعرض آراء برودون (PROUDHON)[10] الذي يفصل بين الصالح والطالح «نظرًا

(١) شيخو، لويس: «التأمل الدينيّ»، المشرق، ٤(١٩٠١)، ص ٣٧٥.
(٢) راهب يسوعيّ، ١٨٧٥، ١٩١٨، من بلاد اليونان، حلّ في لبنان ومصر بين سنوات ١٨٩٤ و١٩٠٥.
(٣) في المشرق: مجلّد ٧(١٩٠٤)، ص ٨٣٤ - ٨٤٢.
(٤) المرجع نفسه: ص ٨٣٤.
(٥) المرجع نفسه: ص ٨٣٥.
(٦) المرجع نفسه: ص ٨٣٥.
(٧) المرجع نفسه: ص ٨٣٦.
(٨) المرجع نفسه: ص ٨٣٦.
(٩) المرجع نفسه: ص ٨٣٦.
(١٠) PIERRE JOSEPH PROUDHON (١٨٠٩ - ١٨٦٥)، مفكّر اشتراكيّ فرنسيّ تميّز برفضه للملكيّة وبنزعة فرديّة فوضويّة.

وعملاً»[1] وكط الذي أكد أنّ «العقل العمليّ يأمر بالانقياد إليه»[2] وبنتام[3] (BENTHAM) وسبنسر (SPENCER)[4] اللذين يؤكّدان على «الصالح الذاتيّ»[5]، والغيريّين (Altruistes) «الذين بذلوا لفظة المحبّة (charité) بالغيريّة وهي الميل إلى الغير وعكسها الأنانيّة وهي حبّ الذات»[6]، والمدرسة «المتكافلة (Solidaire)... المؤكّدة على أنّ حقوق الواجب مكفولة في تعلّق الناس بعضهم ببعضهم وارتقاء الجنس البشريّ»[7]. فاعتبرها كلّها «أقوال ساقطة... لأنّ مَن ترك التمسّك بوجود الله... لا يجد ما يربط به الضمائر»[8].

وتعرّض الخوري عثمانوئيل فضل[9] في بحث عن «قيمة الحياة»[10] لموقف الوضعيّين[11] من الأخلاق وآرائهم فيها كاعتبارهم «أنّ قاعدة الآداب التي عليها يجب أن يقوم مدار أفعالنا هو خير الهيئة الاجتماعيّة أو الخير العامّ»[12]. فأخذ على هذه النظريّة طابعها الجزئيّ وأكّد على الآداب الشخصيّة «لأنّه لا يكفي المرء رفع الأذى فقط عن الهيئة الاجتماعيّة حتّى يعدّ أديبًا إنّما يلزمه أيضًا

---

(١) دي فياله، إسكندر: «فلسفة أدبيّة بلا دين»، المشرق ٧(١٩٠٤)، ص ٨٣٨.

(٢) المرجع نفسه: ص ٨٣٨.

(٣) JEREMY BENTHAN (١٧٤٨ - ١٨٣٢)، رجل قانون إنكليزيّ أعطانا نظرة أخلاقيّة مرتكزة على المصالح.

(٤) HERBERT SPENCER (١٨٢٠ - ١٩٠٣) فيلسوف نشوئيّ إنكليزيّ.

(٥) دي فياله، إسكندر: «فلسفة أدبيّة بلا دين»، المشرق، ٧(١٩٠٤)، ص ٨٣٩.

(٦) المرجع نفسه: ص ٨٤١.

(٧) المرجع نفسه: ص ٨٤٢.

(٨) المرجع نفسه: ص ٨٤٢.

(٩) (١٨٧٨ - ١٩٠٨): كاهن ماروني، من تلاميذ المدرسة المارونيّة في روما وخرّيج جامعة «سان سولبيس» (St. Sulpice) في باريس. مات غرقًا وهو عائد من الترنسفال إلى لبنان.

(١٠) فضل، عثمانوئيل: «قيمة الحياة»، المشرق، ٩(١٩٠٦)، ص ٩٠٦ - ٩١٣، ٩٣٨ - ٩٤٤.

(١١) الوضعيّون هم أتباع المذهب الوضعيّ الذي أسّسه أوغست كونت (١٧٩٨ - ١٨٥٧) (AU-GUSTE COMTE) والداعي إلى البحث بالظواهر وكيفيّة ترابطها بعضها ببعض دون اللجوء إلى تفسيرات «ماورائيّة» و«لاهوتيّة» ويعني بالتفسير «الماورائيّ» التفسير الصوريّ المجرّد وبالتفسير «اللاهوتيّ» التفسير الخياليّ الأسطوريّ المشبّه للإنسان.

(١٢) فضل، عثمانوئيل: «قيمة الحياة»، ص ٩٣٨.

اقتناء الفضائل التي من شأنها أن تجمّل النفس وتجلّلها بلباسها البهيّ»[1]. ورأى أنّ التجرّد في خدمة الفضيلة وطاعة الشرائع «لخدمة الصالح العامّ لمجرّد الصالح العامّ هي غير ممكنة»[2] واستند على الدين الذي يؤكّد «حقيقة خلود النفس ووجود الله»[3]. فالله في نظره «حقيقة لازمة يحتاج إليها النظام الأدبيّ إذ بدونها لا ركن للآداب ولا ضابط ولا التزام ولا خير ولا شرّ ولا حقّ ولا واجب»[4]. وانتهى بالتأكيد على ضعف مزاعم الوضعيّين لادّعائهم استطاعة تشييد الآداب على أساس آخر غير الدين.

وقد جاء في مقالات أخرى نفس التأكيد على العلاقة الوثيقة بين الدين والأخلاق باعتبار «أنّ الأدبيّات لا تنفصل عن الدين وإلاّ فقدت قوّتها وباتت مضعضعة لا أساس لها ولا أصل»[5]. كما نلاحظ أيضًا العودة إلى الربط بين الدين والتمدّن الحقيقيّ. «فالتمدّن الحقيقيّ هو... رياضة أخلاق النفس وحسن تدبير قواها وخاصّيتها وشعائرها فلا يتمّ ذلك إلاّ بواسطة الدين»[6].

ونعتقد أنّ الربط الوثيق بين الأخلاق والدين نابع من الالتزامات الأساسيّة لكتبة المشرق. فقد اتّسمت المشرق بالطابع الدينيّ إيمانًا وواقعًا ودعوة، وتشرّبت تعاليمه فاستنارت به في مواقفها الماورائيّة والأخلاقيّة معًا. وهذا الموقف لم يمنع هؤلاء الكتبة من الانفتاح على آراء الفلاسفة في الأخلاق والتعمّق في فهمها وتبسيطها[7] وبيان ضعفها في أن تكون السند الأساسيّ للأخلاق ومرجعها الأخير والوحيد. ويبدو لنا في هذا المجال أنّ اليقين الدينيّ، وإن دُعي أدبيًّا لارتكازه على استعدادات أدبيّة مسبقة، فهو يقين مطلق لا يترك المجال لغيره في تحديد الخير والواجب وسواهما.

---

(١) فضل: «قيمة الحياة» ص ٩٣٩.
(٢) المرجع نفسه: ص ٩٤٠.
(٣) المرجع نفسه: ص ٩٤٢..
(٤) المرجع نفسه: ص ٩٤٣.
(٥) إده، خليل: «المدارس والهيئة الاجتماعيّة»، المشرق، ١١(١٩٠٨)، ص ١٩٨.
(٦) جرجي، عبد الأحد: «الدين والعقل»، المشرق، ٢(١٨٩٩)، ص ١١٢٠.
(٧) بعرضها على شكل حوارات.

ونحن نعتقد أنّ غير ما ذهب عليه [illegible] في العلاقة بين الإنسان والدين لا تقتضيه الشخصيّة نفسها، لا تستطيع أن تكفر عن كلّ إنسان، ولو بعد عن الدين أو جهله أصلاً، إمكانيّة التوصّل إلى السلوك الأخلاقيّ الخيّر على هدى نور عقله، أو من خلال تجربته الباطنيّة أو الصوفيّة أو غيرها من معطيات أبعاد شخصيّته العقليّة والعاطفيّة والاجتماعيّة المتكاملة والمتلاحمة.

أمّا الاعتقاد بأنّ الدين هو من العناصر الأساسيّة للتمدّن، فإنّنا، من الناحية الاجتماعيّة، لا ننكر دور الحضارات الثقافيّة الدينيّة في تطوّر وتنمية بعض المجتمعات، ولكنّنا نحيل في هذا الميدان إلى الدراسات في علم الاجتماع الدينيّ[1]، التي تميّز بوضوح بين مبادئ الدين وتعاليمه المعلنة النظريّة وبين الدين كما يمارسه ويحياه واقعيًّا أعضاء مجتمع معيّن في ظروف معيّنة.

ثانيًا: الضمير

دحض الأب شيخو «فتوى المقتطف في الضمير»[2] التي كانت تؤكّد أنّ الضمير أو الأخلاق الأدبيّة كلّها لا أثر لها في الجنين. فميّز بين الأخلاق الأدبيّة والضمير. فالخلق، في نظره، «حالة ثابتة تتّصف بها النفس فتحملها إمّا على صنع الخير وهي الفضيلة وإمّا على الشرّ وهي الرذيلة»[3]. واعتبر الضمير «قوّة باطنة من قوى العقل تحمل الإنسان على عمل خير لما فيه من الصلاح وتنهيه عن الشرّ لما فيه من الطلاح»[4]. فهو إذًا قوّة «محرِّضة» على عمل الخير واجتناب الشرّ.

وتطرّق الأب أنطون رباط إلى الضمير في بحثه عن آداب الحرّيّة باعتباره

---

(١) نحيل بشكل خاصّ إلى:

- Desroche, Henri: *Sociologies Religieuses*. Paris. (P.U.F.) 1968, 220p.
- Sicking, Thom: *Religion et développement*, Beyrouth (Dar El Mechreq, Collection *Hommes et Sociétés du Proche-Orient*) 1984, 287 p.

(٢) راجع المشرق، المجلّد ٢(١٨٩٩)، ص ٩٩٣ - ٩٩٦.

(٣) المرجع نفسه: ص ٩٩٤.

(٤) المرجع نفسه: ص ٩٩٥.

حكم عادل في الصدر «يمدحنا ويذمّنا سرًّا على ما أتيناه من العمل. فالصالح يسعد بحكم ضميره ولو أخطأ الجميع في حكمهم عليه، والمسيء يأسف على ما اقترفه من الإثم وإن لم تجازه القضاة عليه فلا ينجو من مهماز ضميره»[1].

وتساءل الأب بطرس مبارك، هل لي من نور ينير قدميّ كي لا أعثر في طريق هذه الحياة؟[2] فوجد هذا النور في الضمير «الذي نشعر بوخزه وصوته يدوّي غالبًا في أعماق قلوبنا»[3].

كما أكّد القسّ عبد الأحد جرجي على دور المحبّة وعلاقتها بالضمير. «فالميل إلى ما يظنّ خيرًا والنفور ممّا يعدّ شرًّا ينشأ من مصدر واحد ألا وهو المحبّة»[4].

نلاحظ في هذا الميدان تكامل نظريّات كتبة المشرق حول الضمير في أبعاده العقليّة والعاطفيّة، والالتزام بالموقف التقليديّ الذي يعتبر الضمير قوّة باطنيّة داخليّة فطريّة للإنسان[5].

ثالثًا: الغاية الأخلاقيّة

حدّد الأب عمّانوئيل فضل شروطًا ثلاثة للغاية الأخلاقيّة «إذا نقص واحد (منها) تزعزعت أركان الآداب»[6] وهي:

١ـ إرادة الإنسان، ينوي بها المرء ويريد العمل حتّى لو حال مانع دون تنفيذه

٢ـ «إطلاق الشريعة أي عموميّتها» فيستحيل الافتكار بوجود شريعة أخرى[7].

---

(١) رباط، أنطون: «محادثات فلسفيّة في آداب الحرّيّة»، المشرق، ١٧ (١٩١٤)، ص ٣٨٣.

(٢) مبارك، بطرس: «أصل الدين فلسفيًّا»، المشرق، ٦(١٩٠٣) ص ٥٤ ـ ٥٥.

(٣) المرجع نفسه: ص ٥٥.

(٤) جرجي، عبد الأحد: «المحبّة ودواعيها»، المشرق، ٢(١٨٩٩)، ص ٨٣٧.

(٥) وهو موقف قريب من موقف روسّو رافضًا النظريّة التي تقول إنّ الضمير مكتسب والتي نجدها في بعض الأبحاث السوسيولوجيّة (دوركهايم DURKHEIM) والتحليليّة النفسيّة (فرويد FREUD).

(٦) فضل، عمّانوئيل: «قيمة الحياة»، المشرق، ٩(١٩٠٦)، ص ٩٤٢.

(٧) المرجع نفسه: ص ٩٤٢.

٣ـ الشرّ والعذاب

واعتقد أنّ على كلّ إنسان «يقرّ بوجود الله وبخلود النفس»[١] التسليم بهذه الأمور

كما نَدّد الأب شيخو المبدأ القائل إنّ «الغاية تقدّس الواسطة»[٢] فانطلق من تحليل معاني هذه الكلمة وأورد المبادئ التي يقاس عليها صلاح العمل أو شرّه وهي: الموضوع الصالح، والظروف، والغاية[٣]. ليؤكّد أنّ الغاية مهما كانت صالحة أو مقدّسة لا تبرّر الواسطة إن كانت الواسطة غير صالحة. ثمّ بحث في صحّة نسبة هذا المبدأ إلى اليسوعيّين فأكّد أنّه «لم يقل يسوعيّ قطّ بهذا المبدأ الفاسد»[٤] وليس من «أثر في سلوك اليسوعيّين بموجب هذا المبدأ»[٥].

وأعطانا فكرة عن تاريخ نسبة هذا المبدأ إلى اليسوعيّين مبيّنًا انطلاق التهمة مع باسكال (BLAISE PASCAL) في «الرسائل الإقليميّة»[٦] (Les Provinciales) استنادًا إلى أحد أقوال القدّيس إغناطيوس دي لويولا (IGNACE DE LOYOLA) القائل بأنّ «تطبيق الوسائط مع الغاية»[٧] أي أنّ الإنسان إذا قصد أمرًا ما وجعله كغايته لا بدّ أن يختار لتلك الغاية الوسائط الموافقة.

---

(١) فضل: «قيمة الحياة»، ص ٩٤٢.

(٢) راجع المشرق، المجلّد ١٧(١٩١٤)، ص ٤٢٣ ـ ٤٣٠. وكان مكيافيلي (NICOLLO MACHIAVELLI) (١٤٦٩ ـ ١٥٢٧) قد برّر اللجوء إلى أيّة وسيلة لخدمة مصلحة الدولة في كتابه الأمير *(Le Prince)* (١٥٣١).

(٣) المرجع نفسه: ص ٤٢٤.

(٤) المرجع نفسه: ص ٤٢٥.

(٥) المرجع نفسه: ص ٤٢٨.

(٦) كتب باسكال ١٩ رسالة بين ١٦٥٦ و١٦٥٧ دفاعًا عن المذهب الجانسنيّ.

(٧) شيخو، لويس: «الغاية تقدّس الواسطة»، المشرق، ١٧ (١٩١٤)، ص ٤٢٩.

رابعًا: الحرّيّة

إبتدأت المشرق بنشر سلسلة من المقالات تحت عنوان «محادثات فلسفيّة في آداب الحرّيّة»[1]، وُجدت بين أوراق المرحوم الأب أسطون رباط، ولكن حالت الحرب الكونيّة الأولى دون متابعة نشرها. وبحثت تلك المقالات سبعة فصول في تعريف الحرّيّة وفي الحرّيّة البشريّة وفي تحديد الحرّيّة الطبيعيّة وإثباتها علميًّا وفي الارتباط بين العقل والحرّيّة وفي سلطة الإرادة الحرّة وحدودها وفي الحرّيّة والشهوة.

فاعتبر الأب رباط أنّ البحث في هذا الموضوع «بحث دقيق بل من أوعر المباحث لارتباطه بالحقائق الفلسفيّة واللاهوتيّة والاجتماعيّة»[2]. وانطلق من التأكيد على اعتبار وجود الله والنفس البشريّة من أركان البحث في الحرّيّة. ورفض الحرّيّة بمعناها الثوريّ والفوضويّ ونفاها عن الحيوان الأعجم «لأنّه ليس بعاقل»[3]. وأفعال الحرّيّة، في نظره، أفعال إنسانيّة حقيقيّة «صادرة عن الإرادة المعتمدة»[4].

وبعد أن استعرض عدّة تحديدات للحرّيّة فخطّأها، أعطانا التحديد التالي: «الحرّيّة هي عبارة عن استطاعة إنشاء الفعل أو عدم إنشائه بحيث يقدر الإنسان أن يريد وأن لا يريد أن يفعل وأن لا يفعل وأن يريد هذا أو ذاك اختيارًا لا اضطرارًا من حيث هو مبدأ فعله.... والمسؤول عنه فيحقّ له أن يجازى عليه إن خيرًا فخيرًا وإن شرًّا فشرًّا، سلطته على اختياره سلطة كاملة متغلّبة على كلّ اغتصاب خارجيّ، منزّهة عن كلّ اضطرار باطنيّ»[5]. وبعد تحليل مضامين هذا التحديد، اعتبر أنّ الحرّيّة تقرّبنا من الشبه بالله «وإنّنا الله

---

(١) في المشرق: المجلد ١٧(١٩١٤)، ص ٢٠١ - ٢٠٩، ٣٧٦ - ٣٨٤، ٥٣١ - ٥٣٩، ٦٧٩ - ٦٨٨.

(٢) المرجع نفسه: ص ٢٠٢.

(٣) المرجع نفسه: ص ٢٠٩.

(٤) المرجع نفسه: ص ٣٨١.

(٥) المرجع نفسه: ص ٣٨٠.

[illegible] الثواب على أعمالنا ثوابًا عادلاً.[1]

وربط الأب شيخو بين الحرّيّة «والقضاء والقدر»[2] فاعتبر الحرّيّة من قضاء الله الذي أعطى، بحكمته، الحرّيّة والسيادة والمسؤوليّة للإنسان في أعماله دون اضطراره إلى العمل خيرًا أو شرًا. فيسعى الإنسان في خدمة الله وتمجيده طوعًا. كما أكّد على وجود درجات وأحاسيس[3] من الحرّيّة.

إنّنا نؤكّد مع كتبة المشرق على وجود درجات مختلفة من الحرّيّة ونؤكّد على دور الفرد في الاختيار الشخصيّ والالتزام الحرّ بتحقيق الخير العامّ. كما نربط معهم الحرّيّة ارتباطًا إلزاميًّا بالمسؤوليّة والثواب والعقاب الناتجين عنها. لكنّنا نلاحظ أنّ المواقف في تحليل الحرّيّة بقيت تقليديّة إذ استند كتبة المشرق على أرسطو، والقدّيس توما الأكويني، والقدّيس أوغسطينس، وسواريز[4] (FRANCISCO SUAREZ).

إنّنا لاحظنا في هذه الملامح النظريّة في الأخلاق التي استعرضناها تنبُّه كتبة المشرق بضرورة التأكيد على وجود الله وروحانيّة النفس البشريّة وهي من الأركان الأساسيّة للأخلاق. فقد نجد مثلاً عند كنط الذي أنكر على العقل البشريّ إمكانيّة التوصّل إلى معرفة هذه الجواهر، أنّه اعتبرها من «المسلّمات» (Postulats) الضروريّة للأخلاق يفرضها علينا العقل العمليّ. وقد انطبعت هذه الملامح بالصبغة الدينيّة الواضحة. ونعتقد أنّ الدين المسيحيّ يولّد عند المؤمن زخمًا يدفعه نحو القيم ويحرّره من المواقف الخاملة أمام الأشياء، لأنّ الله، بمنظار الدين، هو الشرط الأساسيّ المطلق لتحقيق المثل العليا.

---

(١) رباط، أنطون: «محادثات فلسفيّة في آداب الحرّيّة»، المشرق ١٧(١٩١٤)، ص ٦٨٨.

(٢) راجع المشرق، المجلّد ٣ (١٩٠٠)، ص ٩٠٢.

(٣) ش.ل.: «الوضيعة في الحكمة الخلقيّة»، (مطبوعات شرقيّة جديدة) في المشرق، ٢٣ (١٩٢٥)، ص ٦٣٥.

(٤) لاهوتيّ يسوعيّ إسبانيّ (١٥٤٨ - ١٦١٧). مؤلّف الدفاع عن الدين (١٦١٣).